

اقبال وحب الرسول صلى الله عليه وسلم

الاستاذ أحمد حسن .

كان اقبال يحب النبي صلى الله عليه وسلم حبا شديدا تمكن في سويداء قلبه وأعماق
فؤاده و خلجات نفسه و مسارب روحه — وظهر هذا الحب و الحنان والايمان في الوان
شتى و مظاهر مختلفة في انتاجه الشعري، ان في هذا الحب غيرة و أنفة، و فيه وجدا
و لوعة، و فيه رقة و حنانا، و فيه ترفعا و استسلاما، و فيه هزيمة و انتصارا و فاض
قلبه من حبه فلم يجد هوى غيره الى قلبه سيلا و استنكف عن الالتجاء الى
شخصية أخرى .

أبان اقبال هذه الحالة النفسية في بيت واحد يقول : مولاى ان سائلك لا
يبتغى صيانة عرضه الا على بابك، سائل لا يرضى أن يملا كاسه الا من يمك، ان هذا
البيت يلقي الضوء على حب اقبال لمحمد صلى الله عليه وسلم، انه يتقنن في ابداء
هذا الحب و يختار الابتكار والتطرف، يقول في قصيدته و سماها ”وادي سيناء“ : كيف
تخدم هذه الجدوة التي خلقها الله لاحراق الحشيش و المهشيم ، ان الحب هو
رواء النفس، و الحب هو اباء النفس انه غنى عن قيصر و كسرى، و لا عجب
اذا اقتنصت القمر و النجوم و سقطا بين يدي فريستين سهلتين و أصبحا طوع أمرى
و رهن اشارتى، لاننى شددت عنقى بجبل غنى كبير يخضع له العالم (محمد صلى
الله عليه وسلم)، هو عارف السبل، و خاتم الرسل، و مولى الكل، هو الذى أضاء
غبار طريقه فاصبح يذلا”لا“ مثل وادي سيناء .

ثم استولت عليه نشوة غريبة شفاقة و يستحوذ عليه الوجد و الحنان و يأخذه

الطرب والاهتزاز، و هو يقول : ”انه فى عين الحب والغرام الأءول والأءخر، انه القرآن و الفرقان، انه يس و طه، و يقول فى موضع آءر ”أنت لوح و أنت قائم، و وجودك هو الكتاب . ان القبة الخضراء التى لونها لون الزجاج، هى بمنزلة الحجاب فى محيطك، ان هذا النور الذى نراه فى العالم الماء و التراب هو من أجل ظهورك، و أنت الذى أعطيت ذرات الرمال لمعان الشمس،، يعنى أن النبى صلى الله عليه وسلم هو السبب الرئيسى لبروز هذا العالم فى حيز الوجود، و هو الذى أضفى الاشياء قيمة و اعتبارا و وزنا .

و يقول فى موضع آءر: ان وجود سنجر و ديلم هو ناحية من جلاله (عليه السلام) كما أن فقر جنيد و ابى يزيد هوقبس من جماله عليه السلام، فقد كانت الائمة كلها قبله ساقطة فى هوة العصيان، و حائرة فى ظلام الذنوب والاثام و لكنها أصبحت أمة صدق و صفاء بوجوده عليه السلام ثم يقول عن نفسه : اذا لم يكن حب النبى عليه السلام اساما لصلواتى، كان قياسى حجابا، و سجدتى حجابا، و هنالك يبدو بكل صراحة و وضوح أن شاعرنا لا يرى من جدوى فى عمله ان كان هذا العمل مجردا عن حبه عليه السلام، حتى صلواته تبقى بلا فائدة اذا لم يمتلئ قلبه حبا للرسول صلى الله عليه وسلم، ثم يقول ان العقل الذى يتسم بالغياب والطلب، و العشق الذى يعرف بالحضور والاضطراب قد بلغا مراد هما بفضل النبى صلى الله عليه وسلم .

ان ضوء الشمس يبلغ رفوف القصور العالية والأبنية الشائخة ولا يستطيع أن ينور القلوب و يضى البواطن لأن النور الظاهرى لا يكفى لاناارة الضمائر والقلوب، وانما هى ذاته الكريمة و شخصيته الجليلة و حدها التى أثارت القلوب الميئة، و سلاءت العالم نورا و ضياء بالايامن و المعرفة، يقول اقبال : ان العالم كله

هو مظلم من دوران الشمس، و انه فى حاجة ماسة الى شخصية عبقرية تجدد طبعه من جلائها، و تنوره من نورها الحقيقى، و توجد هذه الشخصية فى ذات النبى عليه السلام .

العشق و العقل شيان يبنى عليهما نظام الكون، العشق هو العاطفة، و العقل هو المكيدة، العشق يقوم الامور، و العقل يفسدها . العشق له يد عاملة فى العمارة، بينما العقل لا يأتى الا بالفساد، ولو كان فى العالم العقل المجرى لم يعش الانسان فيه بسكون و راحة، و من ثم اقبال يحب العشق، و ينكر العقل المجرى أو مجرد العقل، و هل تعرفون لما ذا هذا الانكار؟ انه قد هام فى وادى العقل مدة طويلة، و كلما تقدم الى المنزل فى هذا الوادى بعد المنزل غاب الهدف المنشود، فوصل الى نتيجة أن العقل هو نخيل لا يحمل ثمر، و اصبح ينادى : انى أعرف حق المعرفة أن منزل العشق بعيد شديد البعد، و لكن تقطع هذا الوادى مسافة مائة عام فى ساعة واحدة . و يلتفت اقبال الى النبى صلى الله عليه وسلم قائلاً : "ألست تعرف حق المعرفة أياسى و ليالى الماضية، ولم أكن أعرف من قبل أن العلم هو نخيل حائل، لا يحمل الرطب، ان العراك العريق قد تجلى فى ضميرى ان العشق هو كله المصطفى صلى الله عليه وسلم، بينما العقل فهو كله ابو لهب .

و يذكر اقبال النظام الاسلامى الذى قام به النبى عليه السلام على اسس و طيدة، و قضى على مبدا فصل الدين عن الدنيا، بل جمعهما و ربطهما ربطاً متيناً، و كنتيجة هذا النظام تكونت حكومة ليس فيها فرق بين رجال الدين و السياسة أو تمييز بين الوضيع من الشريف، و الغنى و الفقير، و العبد و السيد، يسود فيها العدل و النصفة ولا يوجد فيها ظالم و مظلوم .

يقول اقبال : قد تأسست الكنيسة على أسس الرهبانية، فكيف تتمكن الامارة من هذا الفقر؟ يعنى أن الرهبانية هى ترك الذات، والعزوف عن الشهوات، واللجوء الى الكهوف والغارات، ولا مكان فيها للامراء والسلاطين والوزراء و رجال الحكم والسياسة و قواد الجيوش و ابطال الحروب . يقول اقبال : ان السياسة قد انقطعت صلتها عن الدين أخيرا، وان مرشد الكنيسة، على الرغم من جهوده الجبارة . لم تنفذ مكيدته فى هذا الشأن، عندما انفرد الدين عن الحكم أصبحت شهوة الحكم أميرا و وزيرا، و قائدا و واليا، يعنى أن النظام الذى عرضه النبى عليه السلام أمام الدنيا كان يحمل صفتين كان "دينيا"، بجانب، و "دنيويا"، الى آخر، انه كان يجمع بين الدين والسياسة، فيه العبادة و فيه الحكم، وفيه المسجد و فيه المدرسة، و فيه السلم و فيه الحرب، و كان المسلم خليفة المسلمين و امير المؤمنين ، و قاضى المحكمة و قائد الجيوش، و فى الوقت نفسه هو امام للصلاة و خطيب المنبر، و زاهد الليل، و الفضل فى هذا الامتزاج الرائع الجميل بين الدين و الدنيا و انسجام العبادة و السياسة يرجع الى النبى الاسى قام بشورة كبرى فى التاريخ لا عهد لنا بمثلها من قبل ولا من بعد . . .

صلى الله عليه وسلم .

